حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير – مارس ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الدور العسكري لعرب المشرق ضد الصليبيين في بلاد الشام خلال عهد الدولتين الزنكية والأيوبية (٥٢١-٦٤٨هـ/١١٢٧-١٢٥٠م)

موضي بنت عبدالله السرحان*

استاذ مساعد بقسم تاريخ – كلية الآداب– جامعة الملك سعود بالرياض

المستخلص

قطنت القبائل العربية بلاد الشام منذ فترة طويلة مضت، يُرجح أنها منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ولذا فلم تكن غائبة عن الأحداث السياسية والعسكرية البارزة التي مرت على المنطقة، وستحاول هذه الورقة تسليط الضوء على الدور العسكري لعرب المشرق ضد الصليبيين في بلاد الشام خلال عهد الدولتين الزنكية (٥٢١هـ-٥٦٩هـ/١١٢٧-١١٧٤م)،والأيوبية(٥٦٩-٦٤٨هـ/١١٧٤-١٢٥٠م) اللتان تولتا مسؤولية الجهاد ضد الصليبيين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، هذا الدور الذي لم يقتصر على مجرد مشاركات استثنائية لجمع المعلومات عن جيش العدو، أو إقامة الكمائن، أو إرشاد الجيوش في مسالك الصحراء، بل كان دوراً عسكرياً نظامياً طوال فترة المقاومة للكيان الصليبي في الشرق الإسلامي. كما أن الدافع المحرك لهذه القبائل لم يكن دافعاً مادياً بحتاً، كما رأى بعض الباحثين،وإنما كانت هناك دوافع أخرى فرضتها عليهم هويتهم الإسلامية والعربية،والتي تحثهم على مقاومة هذا الكيان الغاصب. وتنطلق الورقة البحثية بداية بعرض لأهم القبائل القاطنة في بلاد الشام خلال تلك الفترة، ثم ذكر لأبرز المعارك التي شارك فيها العرب بدور ملحوظ، وأثر هذه المشاركة على نتائج المعركة، وسيتخلل هذا العرض قراءة لصورة الفرسان العرب في المصادر المعاصرة وفي أعين القادة الزنكيين والأيوبيين.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة:

أفرزت المحن التي تعرّض لها العالم الإسلامي في العصر الوسيط كيانات عسكرية إسلامية حملت عبء المقاومة ضد الغزو الصليبي للشرق العربي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ونقصد هنا الدولتين الزنكية والأيوبية، ومن بعدها دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، هذا في الوقت الذي كانت تعيش فيه الخلافة العباسية فترة من الضعف الشديد.

استوجب المشروع القومي الذي تبنته هذه الدول حشد كافة الإمكانات المادية والعسكرية لتحقيق أملها في التصدي لتلك الهجمات والانتصار عليها تمهيداً لطردها خارج الأراضي الإسلامية.

كان عرب المشرق من بين العناصر الهامة التي اعتمدت عليها هذه الدول لتحقيق مشروعها، فقد كان العرب أحد المكونات الأساسية لسكان المنطقة التي دارت فيها رحى الصراع الإسلامي الصليبي، ورأت فيه الدولتان الزنكية والأيوبية عاملاً إيجابياً يمكن أن يُرجِّح ميزان القوة لصالحها، لما كانوا يمتازون به، كما ذكرت المصادر، من شجاعة وإقدام، ولجودة خيلهم وخفتها، وخبرتهم الكبيرة في طبوغرافية المنطقة،إلى غير ذلك من الأسباب.

في هذا البحث سنتناول الدور العسكري للعنصر العربي في الجيش الزنكي ومن بعده الجيش الأيوبي خلال معاركهما ضد الصليبيين في بلاد الشام، مبتدأةً بعرضٍ لأهم القبائل القاطنة لتلك المنطقة في فترة البحث، ثم تناول أهم وأبرز المعارك التي شارك فيها العنصر العربي، وأثر هذه المشاركة على مجريات الأحداث، وأيضًا صورة الفرسان العرب في المصادر المعاصرة وفي أعين القادة الزنكيين والأيوبيين.

وسنعتمد على مجموعة من المصادر المعاصرة للأحداث، والتي مثّلت في أغلبها شاهد عيان، هذا بالإضافة إلى بعض الدراسات الحديثة.

القبائل العربية في بلاد الشام

سكن العرب بلاد الشام منذ القدم[١]ومع بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أشار بعض المؤرخين إلى وجود مجموعة من القبائل العربية في بادية الشام وحاضرتها، ومن أشهر هذه القبائل كما يذكر ابن حوقل: أن بادية الشام، من تبوك إلى الفرات، كانت ديار فزارة وديار كلب[٢]، ويرى الهمداني أن قبائل لخم، وجذام، وطيء سكنوا في منطقة الرمل، بين مصر وفلسطين إلى عكا[٣].

أما في الحاضرة فقد استقرت في منطقة حلب بعض القبائل المشهورة، وفقاً لما ذكره ابن العديم،وهي قبائل بني كلاب وأسد وكنانة[٤]. وحول دمشق سكنت فروع من قبيلة بني كلب، ومري بن ربيعة من طيء، وفي فلسطين عرب آل الجراح من طيء أيضاً[٥].

دخلت بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في مرحلة تمزق سياسي بين بغداد والقاهرة فضلاً عن الكيان الصليبي الذي نشأ مع بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في أعقاب الحملات الصليبية[٦]، ومع بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، تحدّثت المصادر عن أحوال القبائل العربية بشكل مُلفت أكثر من ذي قبل، ويبدو أن ذلك كان بسبب اشتراكهم في أحداث تلك الفترة بشكل واضح، حيث بدأ يظهر ما يسمى "بإمرة العرب" كمنصب رسمي من قبل السلطة القائمة[٧].

ويبدو أن مقدمات الإمرة الرسمية للعرب، وارتباطها بالسلطة القائمة في بلاد الشام، بدأت مع تداعي الأحداث في تلك المنطقة بظهور الصليبيين، فالإشارات الشحيحة للمصادر تدل على أن الفاطميين قد أرسلوا مرسوماً بإمرة آل الجراح، أحد فروع قبيلة طيء العربية، على منطقة الرملة[٨]. كما أن آل طغتكين، حكّام دمشق،اعتبروا ربيعة بن حازم من آل الجراح أميرًا لعرب الشام[٩].

وقام عماد الدين زنكي (٥٢١هـ-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) ومن بعده ابن هنور الدين محمود ابن زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م) بمنح بعض الإقطاعات إلى أمراء قبيلة بني كلاب[١٠]، والتي كانت تتزعم القبائل في شمال بلاد الشام، حتى يتمكن من استرضائهم[١١].ويبدو أن والي دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي كانت لديه سلطة رسمية على القبائل في الشام، حيث "كان محكم في جميع قبائل العرب وعشائرها وأفخاذها وبطونها وعمائرها... وهو يتولاهم ويجريهم على معتادهم في رسمهم ومعيشتهم وعدادهم"[١٢].

كانت أول إشارة صريحة للإمرة الرسمية للعرب في بلاد الشام، بالنسبة لآل ربيعة الطائيين،في زمن الملك العادل الأيوبي (٥٩٢-٦١٥هـ/١١٩٧-١٢١٨م) "فلم يصرح لأحد من هذا البيت بإمرة العرب، بتقليد من السلطان، إلا أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين أمّر منهم حَدِيثة"[١٣].

ولم تكن إمرة حديثة بن فضل بن ربيعة الطائي تخص آل فضل فقط، وإنما على جميع العرب في بلاد الشام الخاضعين لسلطة الدولة الأيوبية[١٤]. وبهذا انحصرت إمرة العرب ببلاد الشام،في طابعها الرسمي، في آل ربيعة الطائيين، يمارسون دورهم في تمثيل القبائل العربية أمام السلطان، ويقومون بما عليهم من واجبات رسمية تجاه السلطة القائمة، مقابل ما لهم من إقطاعات وحقوق سيادية على مناطق نفوذهم.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطة كانت تلجأ في بعض الأحيان إلى تولية إمرة العرب لأميرين أو أكثر في الوقت نفسه، فقد كانت تقسم الإمرة إلى قسمين أو ثلاثة حسب أهمية كل أمير، والسبب في هذا الإجراء إما عدم قدرة الأمير المعّين من السيطرة على جميع فروع القبيلة وغيرها من القبائل الأخرى في بلاد الشام، وهذا يؤثر في قيام هذه القبائل بدورها العسكري والأمني الذي كلفتهم به السلطة. أو لوجود أكثر من أمير كبير يسعى لأخذ الإمرة من الآخر، مما يؤدي إلى تنافس لا تقبل به السلطة لما يترتب عليه من اختلال للأمن في بلاد الشام. وفي هذه الحالة تقوم السلطة بتقسيم إقطاعات الإمرة بين هؤلاء الأمراء كل حسب حصته[١٥].

العنصر العربي في الجيشين الزنكي والأيوبي

مثّل العنصر العربي ركيزة أساسية من ركائز العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى، وقام بدورٍ كبير خلال الفترة التي جُوبهت بها المنطقة العربية بحروب الصليبيين. فعلى الرغم من أن بعض الدراسات[١٦] أشارت إلى أن العرب لم يشكّلوا فِرقاً نظامية داخل البناء العسكري للجيوش الإسلامية التي تصدّت للغزوات الصليبية،إلا أنهم عُدّوا قوة يسعى الجميع إلى اجتذابها لجانبه، وتمكنوا من إحداث تغيّر في موازين القوى خلال تلك المرحلة.

فهذه الدراسات ما تنفك أن تحصر دور هذه القبائل في كونها عيناً على الصليبيين، ومصدراً من مصادر المعلومات للجيوش الإسلامية فقط، وأن دورها العسكري لا يتعدى المشاركة في صنع الأكمنة واستدراج العدو إليها، إلا أن الواقع يشير إلى غير ذلك،إذ كان

هناك اعتماداً كبيراً على العرب في جميع مراحل المعارك الحربية للجيش الإسلامي ضد الصليبيين، منذ مرحلة جلب معلومات العدو ورصد تحركاته، إلى القيام بغارات سريعة خاطفة على أطراف الجيوش الصليبية، ثم من خلال الاشتراك الفعلي بفرقٍ عسكرية منظّمة في الجيش الإسلامي أثناء المعارك، وهذا ما سنحاول توضيحه في الصفحات التالية.

فالسلطة القائمة تمكنت من استقطاب القبائل العربية المتواجدة في مناطق التماس مع الصليبيين واستفادت منها مثل قبيلة بني كلب، وآل ربيعة وآل الجراح من قبيلة طيء الذين قاموا بدور كبير في إزعاج الصليبيين أثناء تحركاتهم وغاراتهم المستمرة في الأرياف والبوادي والساحل، واتفق أنبعض بني هوبر(١٧)وبني ربيعة كانت تتخطف القوافل حول عسقلان(١٨).

وأخذ الطائيون يمارسون دورهم كعنصر عربي هام في جنوب بلاد الشام بإمكانه ترجيح طرفاً على آخر بين القوى المتصارعة هناك حتى ظهر الكيان الصليبي في الشرق العربي، وما تطلّبه من قيام جبهة إسلامية موحدة لصدّه واجتثاثه وتمثلت هذه الجبهة بداية في الدولة الزنكية(١٩)، وبعدها الدولة الأيوبية(٢٠).

بداية أشير إلى أن أحد فروع قبيلة طيء، وهم آل ربيعة(٢١) المتواجدون في منطقتي البَلْقاء(٢٢) وحوران(٢٣)، قد شاركوا بقوة في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي(٢٤)، ومن أبرز قوادهم مِرَا بن ربيعة، وأخيه فضل بن ربيعة(٢٥)، اللذان استجابا لطلب حكّام دمشق من آل طغتكين للجهاد، بجانب قبائل أخرى مثل بني كلاب، وخفاجة، وذلك في أثناء وقعة طَبَريّة(٢٦) مع الفرنج أواخر سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وفي هذا يروي ابن القلانسي:"استدعى أتابك العرب الطائيين والكلابيين والخفاجيين فوصلوا في خلق كثير بالمزادات والروايا والإبل لحمل الماء وصعدت الطلائع إلى الجبل... وعرفوا أن هذا الجبل لا يمكن الحرب فيه لصعوبته على الفارس والراجل"(٢٧).

وفي عهد الدولة الزنكية اهتم عماد الدين زنكي ببناء جيشه لمواجهة الأخطار المحيطة بممتلكاته، وكان من أهمها الخطر الصليبي، وقد اعتمد في بعض نشاطاته العسكرية ضد هذا العدو على العنصر العربي، ففي عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م وردت إشارة إلى وجود قوات من حلب ضمن قوات عماد الدين التي شاركت في استعادة الرها من الصليبيين، ومن المرجح أن هذه القوات كانت تتضمن عرباً، إذ يذكر ابن العديم أن عماد الدين زنكي كان يُجبر فلاحي حلب على الالتحاق بجيشه في أوقات القتال(٢٨).

وبعد استيلاء الصليبيين على بانياس(٢٩)،طمعوا في ضم دمشق وأعمالها إلى نفوذهم، فحشدوا جيوشهم من كل مكان واستعدوا للزحف إليها في ذي القعدة سنة ٥٢٣هـ/ أكتوبر ١١٢٩م، وكان عددهم أكثر من ستين ألف فارس وراجل، والرجالة أكثر، على حد قول ابن القلانسي، "فسار إليهم عسكر دمشق، وانضم إليه الأمير مرة بن ربيعة في العرب الواصلين معه، وتفرقوا كراديس في عدة جهات، ثم هجم العسكر ومعهم الأمير مرة والعرب هجمة قوية، انحلّ بها الجيش الصليبي وعاد العسكر والعرب إلى دمشق "ظافرين،غانمين، منصورين، مسرورين"(٣٠).

وشهد اعتماد السلطة القائمة في بلاد الشام على القبائل العربية في نزاعها مع الصليبيين تزايداً ملحوظًا في الفترات التالية، ففي أثناء عهد الأمير معين الدين آنر(٣١)(ت:٥٤٤هـ/١١٥٠م)فشلت الهدنة المعقودة بينه وبين الصليبيين في عكا وصور وثغور الساحل، فقاموا بمهاجمة الكثير من النواحي التابعة لدمشق مما اضطره إلى جمع

عسكره وخيّم في منطقة حَوْران[٣٢]، وقام بمكاتبة العرب في أواخر سنة ٥٤٣هـ/١١٤٠م، وأخذ في شنّ الغارات على أطراف المدن الصليبية إلى أن أجبرهم على طلب الصلح وتجديد الهدنة لمدة سنتين تبدأ من سنة ٥٤٤هـ/١١٤١م[٣٣].

في هذه الأثناء راسل نور الدين محمود بن زنكي، معين الدين أنر لمساعدته في صد هجوم فرنج أنطاكية، والذين احتشدوا لمهاجمة حلب وأعمالها، فأرسل إليه معين الدين قسمًا كبيرًا من عسكر دمشق، واحتفظ بقسم من العسكر في ناحية حوران، وذلك حتى يؤمن العرب ويطيب نفوسهم ليستمروا على عادتهم في نقل الغلال على جمالهم إلى دمشق، وحفظها والاحتياط عليها[٣٤].

واتخذ نور الدين محمود أيضاً عرب الشام سنداً قوياً أثناء جهاده ضد الصليبيين، فبعد أن ضمّ دمشق إلى حلب، وخطب له بها في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، أخذ في التصدي لغارات الفرنج المتكررة على أعمال دمشق وحلب، فأرسل قسماً من جيشه يقدّر بأربعة آلاف فارس إلى منطقة حوران لينضموا إلى العرب هناك لقصد الفرنج ولقائهم، وكان العرب في خلق كثير[٣٥] مما جعل حوران قاعدة للتموين الدائم لجيوش نور الدين محمود، وللهجوم على الفرنج، فكان يعسكر بالقبائل العربية فيها، ويحفظ قوافل الغلال التي يتولى العرب نقلها إلى دمشق وحلب وشمال بلاد الشام، ويحشد الجند من التركمان والعرب للإغارة على الفرنج في قلاعهم الساحلية والجبلية ما بين بانياس وطبرية وهُونين[٣٦].

وقد أدرك صلاح الدين الأيوبي (٥٧٦-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م) الدور الكبير للقبائل العربية في بلاد الشام في النزاع الإسلامي الصليبي، ولذا خشى استقطاب الفرنج لهم واستخدامهم أدلاء في محيط جغرافي هم أجهل الناس به، مما يجعلهم يفتقدون إلى ميزة مهمة في المعارك الحربية ضد المسلمين، وهي المعرفة الجيدة بأراضي المعارك، وهذا لاشك سيكون في صالح الجيوش الإسلامية، لذا نراه يرسل إلى نور الدين محمود بن زنكي يقول:

"إلى مولانا السلطان الملك العادل ... علم المملوك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكفار بما يقص أجنحتهم، ويفلل أسلحتهم، ويقطع موادهم، ويخرب بلادهم؛ وأكبر الأسباب المعينة على ما يرومه من هذه المصلحة أن لا يبقى في بلادهم أحد من العربان... ومما اجتهد فيه غاية الاجتهاد... ترحيل كثير من أنفارهم، والحرص في تبديل دارهم، إلى أن صار العدو [الفرنج] اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلا، ولا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا"[٣٧].

ويشير وليم الصوري بنص عند ذكره لأحداث المعارك التي دارت رحاها في ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م/٢ جمادى الآخر ٥٧٣هـ، أثناء زحف صلاح الدين على عسقلان في الساحل الجنوبي لفلسطين، وانتصار الصليبيين إلى ما نعتهم بـــ"الأعراب الكافرون" فيقول:

"لما رأى الأعراب الكافرون النكبة التي حاقت بالترك أسرعوا إلى الذين كان الأخيريون خلفوهم ورائهم لحراسة أمتعتهم بمدينة العريش كما ذكرنا من قبل وقصوا عليهم بأن الكارثة التي حلت بأصحابهم وجلت نفوسهم عند سماع هذا الخبر وانطلقوا في فزعهم يهيمون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون.. كذلك أصر هؤلاء الأعراب إصراراً عنيداً على مطاردة من شاءت الصدفة أن ينجو من الوقوع في قبضتنا، وبذلك فإن الذين ظنوا أنهم نجوا وجدوا أنفسهم قد وقعا فريسة سهلة في براثن هؤلاء الأعراب ... وكان من عادة هذه الطائفة (الأعراب) اللئيمة أنهم كانوا يتحاشون دائماً القتال فلا

يخوضون معركة ما من المعارك أياً كان القائد بل يقفون على بعد من ساحة الحرب طالما لم تتضح نتيجتها، فإذا حسمت انضموا إلى الغالب وتعقبوا المغلوب وملأوا أيدهم بالأسلاب والغنائم"(٣٨).

ويتضح من هذا النص أن المقصود هنا الأعراب الغير منتظمة في الجيوش الإسلامية زمن صلاح الدين، ففي هذه الحملة نفسها، كما يذكر وليم الصوري نفسه، حشد صلاح الدين ستة وعشرون ألف فارس يحملون سلاحاً خفيفاً، هذا بالإضافة إلى راكبي الإبل ودواب الحمل، ويغلب على الظن هنا أن هؤلاء جميعهم كانوا من القبائل العربية في مصر وبلاد الشام، لإنه ميّز بعد ذلك بين هؤلاء وغيرهم من الطواشية والمماليك الأتراك والقراغلامية(٣٩).

وفي السياق نفسه أشار وليم الصوري إلى قوم "محاربون غِلاظ" يسيطرون على الكثير من المناطق المحيطة بدمشق، وبعض الجبال المحيطة بعكا، وكثيراً ما أزعجوا الصليبيين في بلاد الشام، وأن الإمارات الصليبية حاولت كثيرًا استئصال شأفتهم ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل مما جعلهم يزدادون قوة يوماً بعد يوم(٤٠). وعلى الأرجح أن وليم الصوري يقصد هنا عرب ربيعة الطائيون.

ويشير ابن الأثير الجزري، الذي كان معاصراً للأحداث، عند تناوله لأحداث سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢ بتنسيق من نوع معين بين القبائل العربية القاطنة في جنوب بلاد الشام وجيوش صلاح الدين الأيوبي لشن مجموعة من الهجمات على الولايات الصليبية هناك، وذلك عندما أرسل صلاح الدين ابن أخيه فَرُخشاه(٤١) إلى بَيْسَان(٤٢)والغَوْر(٤٣)وتمكن من دخلوها وإحراز غنائم وأسر عدد كبير من أهلها، ففي الوقت نفسه قامت القبائل العربية بشن مجموعة من الغارات على عدد من الولايات الصليبية منها جينين واللجون والغور حتى قاربوا عكا(٤٤).

وفي نص آخر أورده الأصبهاني لوصف خروج السلطان صلاح الدين لفتح الساحل الشامي عقب موقعة حطين وفتح بيت المقدس، فيقول:

"وأقام العسكر أياما على (قدس)، وبقبس النصر قد تأنس، ولسناء الظفر قد توجس. وأتى العرب، وواتى الأرب. واجتمعت الجيوش وجاشت الجموع، وآن لليل العزم المدلج من صبح النجح الطلوع، ونبعت الفيوض من النعم وفاض الينبوع.....وسار السلطان وصحبه من فرسان العرب كل فارس معرب، ومن شجعان الأكراد كل فاتك محرب، ومن فتاك الأتراك كل قسور قاسر"(٤٥).

يشير النص صراحة، وكاتبه شاهد عيان،إلى المكانة التي كان يحظى بها أمراء العرب وفرسانهم في الجيش الأيوبي، وأهمية الدور العسكري الذي قاموا به في تلك المرحلة من جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين. كما أن سياق الحديث الذي أورد فيه الأصبهاني معلوماته عن العرب المنتظمين في الجيش الأيوبي يُدلل على قربهم من صلاح الدين وثقته فيهم، وليس بعيداً أن يكون هؤلاء الأمراء من بين أفراد مجلس المشورة الذي كان يتخذه صلاح الدين طوال فترة حروبه مع الصليبيين في بلاد الشام.

وفي إشارة أخرى لابن الأثير أثناء تناوله لأحداث سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، أنه من بين جنود وأمراء صلاح الدين، أمراء من قبيلة طيء وربيعة، وكانوا من جملة أمرائه الشجعان الذين اعتمد عليهم في عمل الأكمنة للإسقاط بالفرنج، وأن بعض هؤلاء الأمراء لقوا حتفهم عند التخطيط لترتيب كمين لبعض فرنج مدينة صور الذين كانوا خارجين للاحتطاب والاحتشاش خارج سور المدينة(٤٦).

ونلاحظ هنا إطلاق ابن الأثر على هؤلاء العرب الذين شاركوا في الجيش الأيوبي لقب "أمير"، ولا شك أن لهذا دلالة على الصفة الرسمية لأمراء العرب بين قادة وأمراء الجيش الأيوبي، الذي كان يعتمد على الإقطاع الحربي في تقسيماته للجنود والفرق العسكرية.

ويذكر بهاء الدين بن شداد أن عدد الأمراء العرب الذين قُتلوا كانوا أربعة، كان من بينهم الأمير (رامل)، "وكان شاباً تاماً حسن الشباب مقدم عشيرته، وكان سبب قتله أنه تقنطرت به فرسه ففداه ابن عمه بفرسه فتقنطرت به أيضاً وأُسر هو وثلاثة من أهله. ولما بصر الإفرنج بالمدد للعسكر قتلوهم خشية الاستنقاذ"، وكان سبب إرسال صلاح الدين لهؤلاء الجند، ومن بينهم الأمراء العرب، استدراج الفرنج إلى موضع معين لعمل كمين لهم، ولذا "رتّب العسكر ثمانية أطلاب، واستخرج من كل طلب عشرين فارساً من الشجعان، الجياد الخيل وأمرهم أن يتراءوا للعدو حتى يظهر واليهم ويناوشوهم وينهزموا بين أيديهم حتى يصلوا إلى الكمين"(٤٧).

ويظهر من هذا الحديث أن العرب كان جزءاً نظامياً في الجيش الأيوبي، ينتظمون تحت قيادته بجانب العناصر الأخرى. فالأطلاب تعني القوات النظامية المسجلة في الديوان الأيوبي، فهي عبارة عن فِرق عسكرية تتكون كل منها غالباً من مئتي إلى مائتي وسبعين فارساً في ميدان القتال، ولكل منها أميرها وحاجبها، وهي تتفاوت في أعدادها وفقاً للظروف الحربية التي تمر بها البلاد(٤٨).

إن النص السابق يؤكد ما ذهبنا إليه في اعتبار العرب قوة نظامية في الجيوش الإسلامية التي جاهدت ضد الصليبيين، وفي هذا دحض لرأي أحد الباحثين الذي يرى: "أنه من المشكوك فيه اندماج قبائل العرب في الجند، ولعلهم كونوا جنداً مستقلاً استنتاجاً من مشاهد الواقع"(٤٩).

وتأييداً لهذا الرأي يذهب أحد الباحثين أن العنصر العربي مثّل جزءاً في القوة العسكرية الأيوبية منذ أسد الدين شيركوه (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، حيث اعتمد عليهم في تشكيل نواة الجيش الأيوبي بمصر، فتمكن من استمالة العرب القاطنين بالجزيرة في مصر مثل الأشراف الجعفريون والطليحيون والقرشيون وغيرهم، وكان انضمامهم إليه بوصفهم جنوداً نظاميين، ففي العرض العسكري الذي أقيم يوم ٨ محرم ٥٦٧هـ/ ١١سبتمبر ١١٧١م، أي عقب قطع الخطبة الفاطمية في مصر، وقبيل وفاة الخليفة العاضد الفاطمي بيومين تقريباً، "اشترك في العرض العرب الجذاميون، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس في بداية التحاقهم بالجيش، ثم انخفض عددهم في المراحل التالية"(٥٠).

وذُكر أيضاً أنه بعد الدعاية المكثفة التي قام بها صليبيو الشرق للاستنجاد بأوربا عقب سقوط بيت المقدس بعد موقعة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م، جاءت أعداد غفيرة واحتشدت في مدينة صور، وبدأت في التحرك ناحية عكا لاستردادها، وأثناء حصارهم لهذه المدينة، كمن العرب لمجموعة منهم خرجوا للاحتطاب والاحتشاش مما ينبت على طرف النهر، فقتلوهم عن آخرهم، وجاءوا برؤوسهم إلى صلاح الدين الذي أحسن إليهم ومنحهم الخلع(٥١).

كما قام العرب بدور كبير أثناء الهجمات المباغته التي قامت بها حامية عكا على المعسكر الصليبي المحاصر لها،فيذكر ابن شداد في شهر شعبان ٥٨٥هـ/١١٨٩م أن الحامية القائمة بمدينة عكا عقدت العزم على فتح الأبواب والهجوم على التكتل الصليبي القابع خارج المدينة بشكل مفاجئ، وتمكنوا من حرق عدد كبير من المنجنيقات المحاصرة

لعكا، وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين، وقام العرب حينها بنهب المعسكر وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين(٥٢).

ويشير ابن شداد أن السلطان صلاح الدين أثناء دفاعه عن أرْسوف(٥٣) ويافا(٥٤) ضد الزحف الصليبي في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١مجاءه بعض العرب ومعهم أسرى وكان بينهم إمرأة، كما أنهم كانوا يتتبعون الخيول المنهزمة عقب المعركة، ففي معركة أرسوف قتل من الصليبيين عدداً كبيراً، وقد تتبع العرب خيلهم وعدّوها فزادت عن المائة فرس(٥٥)، واستمر العرب في معاونة صلاح الدين في وقف هذا الزحف، فكانوا يمثلون قسماً هاماً من اليَزَك(٥٦) الخاص بالجيش الأيوبي، فعملوا على اختطاف خيل الفرنج ومقاتلة رجالهم(٥٧).

ويذكر هنا ابن شداد أن كمين العرب للفرنج كان بتكليف من صلاح الدين، وأنه تخيّر العرب دون غيرهم من عناصر جيشه "لخفتهم على خيلهم وأمنه عليهم، فخرجوا ولم يشعروا بهم فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً عظيمًا، وأسروا جماعة وأحضروا رؤوساً عديدة بين يديه فخلع عليهم وأحسن إليهم"(٥٨).

كما كانت هناك فرقة من الفدائيين أطلق عليها ابن شداد مسمى "شلوح العرب"(٥٩)، رتّبها صلاح الدين وكان عددهم ثلاثمائة، وكانت مهمتهم القيام بعمليات فدائية داخل المعسكر الصليبي، فتتسلل ليلاً داخل الخيام وتأسر وتأخذ ما تقدر عليه من الرجال والمال والعتاد، وقد استمروا على هذه المهمة طوال فترة المعارك إلى أن عقد الصلح بين صلاح الدين والصليبيين(٦٠).

ويتحدث ابن شداد أيضاً عن أحد الأكمنة القوية التي أثرت في قوة العدو الصليبي والتي وقعت في السادس عشر من شهر شوال ٥٨٧هـ/١١٩١م، وقام العرب فيه بدور كبير، فيقول:

"أمر السلطان الحلقة أن كمنت للعدو في بطون أودية هناك، واستصحبوا جماعة من العرب، فلما استقر الكمين في موضعه ظهرت العرب، على جاري عادتها في مناوشتها العدو، وكان العدو تخرج منه جماعة للاحتشاش والاحتطاب قريباً من مخيّمه تضرب العرب وتضرب العرب عليهم فضربوا عليهم ووقع الحرب وثار الصياح وسمع العدو فركب منهم جمع من الخيالة وطلبوا جهة العربف انهزم العرب بين أيديهم إلى جهة الكمين والعدو يتبعهم طمعاً حتى قاربوا الكمين فخرج الكمين عليهم وصاحوا بهم صيحة الرجل الواحد فانهزموا بين أيديهم"(٦١).

يمكن أن نستنتج من الحديث السابق لابن شداد أن استخدام العربفي الأكمنة الإسلامية ضد الصليبيين،كان يتم في العادة في الصفوف الأمامية لشجاعتهم وخفة خيولهم، فكانوا طُعْمَاً لاستدراج العدو حتى النقطة المحددة التي يُنْقض فيها عليه، ويظهر كذلك أن مناوشات العرب للجيش الصليبي كان أمراً معتاداً منهم ومعروف وجرى بالتنسيق مع القيادة العسكرية للجيش الأيوبي.

ويروي ابن شداد أنه كان بصحبة السلطان أثناء حدوث هذا الكمين، وكان متشوقاً لمعرفة الأخبار، فكان أول الواصلين جماعة من العرب، وبصحبتهم خمس رؤوس من الخيول، ثم أخذت البشائر تتواتر على السلطان، الذي فرح فرحاً كبيراً، وعاد إلى خيمته مسروراً راضياً(٦٢).

وفي مثل آخر يدلّ على الدور الهام الذي قام به فرسان العرب في أثناء الحروب الإسلامية الصليبية ببلاد الشام، خصوصاً في عمليات المناوشات لفرق الجيش الصليبي واستنزاف قواه، ما رواه ابن شداد عن أن طريق مدينة يافا كان طريق الإمدادات للجيش

الصليبي الموجود هناك، وأن قوافل ميرة العدو كثيراً ما تمرّ من عليه، "فلما علم المسلمون أن القوافل لا تنقطع خرج جماعة وأخذوا معهم عرباً كثيراً، وكمنوا كميناً واجتازت القافلة ومعها جماعة كثيرة فخرجت العرب على القافلة وتبعتهم الخيالة فدحروا بين أيديهم منهزمين نحو المسلمين، فخرجت الأتراك عليهم، فأخذوا وقتلوا، وجرح من الأتراك جماعة"(٦٣).

ولا شك أن الدور الملحوظ لعرب الشام في الجهاد ضد الصليبيين قد جعلهم عُرضة لانتقام الفرنج، ومثل هذا ما حدث في شهر ربيع الأول من سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، إذ أغار الفرنج على حِلَّة(٦٤) عرب قريبة من الدَّارون(٦٥)وأخذوا منهم جماعة،وأخذوا منهم زهاء ألف رأس غنم، فعظم ذلك على صلاح الدين وشق عليه، فأرسل جماعة وراءهم لتخليصهم، ولكنهم لم يلحقوا بهم(٦٦).

وكان لعرب طيء دوراً حاسماً في صد هجوم سلاجقة الروم بزعامة عز الدين كِيكَاوُس بن كيخسرو، حيث شاركوا الملك الأشرف موسىابن العادل (٥٩٨-٦٣٥هـ/١٢٠٢-١٢٣٧م) صاحب الجزيرة الفراتية في هزيمة سلاجقة الروم عند هجومهم على حلب في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، حيث "أكثر العرب الأسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودَبر خيل الروم"(٦٧).

ويبدو أن الأشرف موسى بن العادل كانت له علاقات عسكرية متوطدة مع القبائل العربية في بلاد الشام، فعندما عزم الملك العادل على صد الفرنج في دمياط، طلب من ولده الملك الأشرف موسى أن يدخل إلى بلاد الفرنج ويغار عليها، وهنا استدعى عرب طيء وغيرهم من العرب، ووصل إلى حلب فنزل ظاهرها، وأخذ يغير على الإمارات الصليبية في بلاد الشام(٦٨).

ويلاحظ الباحثفي بعض الروايات التي ذكرها ابن شداد أنه أطلق على العرب، خلال هذه الأحداث، مصطلحين مختلفين كل منهما في سياق منفصل، الأول: "عرب الإسلام"، وذلك في معرض حديثه عن خروج مجموعة من العرب المشاركين في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين إلى يافا، وهذا في شهر جمادى الأولى من سنة ٥٨٨هـ/١٢٩١مفروى: "قد سارت من عرب الإسلام جماعة للغزاة على يافا فوصلوا بليل من غير علم بحركة العدو، فنزلوا في بعض الطريق يقسمون، فوقعت عليهم عساكر العدو فأخذوهم وهرب منهم ستة نفر فوصلوا إلى السلطان وأخبروه الخبر، ووصلت الجواسيس وتواترت الأخبار من جانب العدو أنه مقيم بالنطرون لنقل الأزواد والآلات التي تدعو الحاجة إليها في الحرب فإذا حصل عندهم ما يحتاجون إليه قصدوا القدس الشريف حرسه الله تعالى"(٦٩).

أما المصطلح الآخر: فسماهم "بالعرب المفسدين"، وهذا في إحدى رواياته التي ذكرها أثناء حديثه عن اعتراض الفرنج لطريق الإمداد المصري الشامي، حيث هاجموا بعض القوافل العسكرية القادمة من مصر إلى الشام فذكر أن عسكر مصر توقف في بلبيس أياماً حتى تجمعت القوافل، وبدأت في المسير تجاه الشام، ولكن أخبارهم وصلت إلى العدو الصليبي وأخذ "يتوصل إليها بالعرب المفسدين"، ثم سار العدو حتى أتى الصافية(٧٠)، فأخبره العرب بأن الركب المصري وصل إلى ماء الخُويْلفَة(٧١)، فركب ليلاً في جمع يسير مع بعض العرب وتمكن من رؤية القوافل واستغراق الجميع في النوم، فعاد إلى عسكره وباغتهم صباحاً قتلاً وأسرا، واستولى على ثلث القوافل تقريباً أما الثلثين الآخرين فقد تمكنت من الفرار بمساعدة العرب أيضاً، وفي هذا يقول ابن شداد: "فانقسم

القفل ثلاثة أقسام قسم قصدوا الكرك مع جماعة من العرب وعسكر الملك العادل، وقسم أوغلوا في البرية مع جماعة من العرب أيضاً. وقسم استولى عليهم العدو فساقهم بجمالهم وأحمالهم وجميع ما كان معهم، وكانت وقعة شنعاء لم يصب الإسلام بمثلها من مدة مديدة"(٧٢).

المتفحص لهذه الرواية يجد أن بعضاً من عرب الشام تعاونوا مع الجيش الصليبي في إمداده بالأخبار، ومساعدته في السير داخل دروب الصحراء، ويبدو أن هؤلاء هم الذين أطلق عليهم ابن شداد "بالعرب المفسدين". ولكن يظهر، في ذات الوقت، دور "عرب الإسلام"، كما نعتهم، وهم المعنيين بدراستنا هنا،لدورهم الجهادي ضدّ الصليبيين، وظني أنهم الأكثرية بالنسبة لعرب الشام، وذلك لكثرة الروايات المتعلقة بهم في المصادر الإسلامية واللاتينية المعاصرة.

وفي هذا السياق نجد أحد الباحثين يفرّق بين لفظتين وردت في المصادر بخصوص الجيش الإسلامي في هذه الفترة، الأولى: العسكر، ويرى أنها تعني هنا الجيش النظامي الرسمي، الذي يُعتمد عليه بشكل رئيس في المعارك والحروب. والثانية: الجند، والتي يُقصد بها الجيش الاحتياطي أو الجيش الإقليمي،ويخضع هؤلاء لقواعد النظام الإقطاعي الصارم في إدارة الجيوش حينها."وأغلب المصادر تستخدم هاتين اللفظين في غير دقة ولا تحديد، والعلاقة بين الجند المحلي الاحتياطي، والعساكر المركزية الشامية وثيقة بحقوق أصحاب الاقطاعات المحلية نحو سيده"(٧٣).

وأياً كانت المدلولات التي تشير إليها مثل تلك المسميات، فإنه من الواضح أن الجميع، "عسكراً" أو "جنداً"، أو "عرب الإسلام" كان خاضعاً تحت الإدارة السياسية والعسكرية للدولة بشكل أو بآخر، مما يفرض عليهم الانصياع إلى الأوامر والالتزام بما هو مقرر من شروط في علاقتهم التي تربطهم بالدولة. وعرب المشرق في بلاد الشام لم يكونوا خارج هذا النسيج العسكري المحْكَم الذي فرضه الواقع المعاش آنذاك.

الخاتمة:

يستنتج الباحث من المعارك التي خاضتها الجيوش الإسلامية ضد الصليبيين أن العرب لم يكونوا عنصراً عابراً في تلك المعارك، وإنما كان هناك تنسيقاً دائماً مع قادة الدول الإسلامية التي تولت عبء الدفاع عن حرمة الدين والأرض والمقدسات في تلك الحقبة الحرجة من تاريخ الشرق الإسلامي.

وشكّل العرب فِرَقاً نظامية داخل الجيش الإسلامي المقاوم للصليبيين في بلاد الشام، تأخذ مكانها في ميدان المعارك مثل غيرها من الفرق الأخرى التركية والتركمانية والأكراد، وتُكلّف بمهام كبيرة تمكنت من تنفيذها بنجاح كما أشارت المصادر.

كما عُدّ القادة والأمراء العرب المشاركون في المعارك رفقاء لقادة الجيوش الزنكية والأيوبية، ويحضرون مجالسهم الحربية التي كانت تُعقد بشكل دائم للمشورة ولبحث مستجدات الأحداث، ومناقشة نتائج المعارك أولاً بأول، وكانوا يلاقوا احتراماً كبيراً بين هؤلاء القادة، كما أنهم أيضاً وجدوا نفس الاحترام عند الطرف الصليبي كما ذكرت المصادر.

لم يقتصر دور العرب، كما ذكر أغلب الباحثين، في المعارك التي خاضتها الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، على مجرد جمع المعلومات العسكرية عن القوات الصليبية، أو مجرد كونهم طعمة للصليبيين حتى يقعوا في الكمائن الإسلامية، أو كونهم أدلاء تهتدي بهم الجيوش في دروب الصحراء الواسعة، بل كان دورًا عسكرياً أساسياً ورسمياً في جميع فترات المقاومة للكيان الصليبي في الشرق الإسلامي.

كما أن الباحثين الذين جعلوا الدافع المادي هو الأساس وراء اشتراك العرب في هذه الحروب قد جانبهم التوفيق، فهناك دوافع أخرى تفرضها هويتهم الإسلامية والعربية، والتي تتناقض بكل تأكيد مع الوجود الصليبي في بلاد الشام، وهي المنطقة التي كانت تنتشر فيها القبائل العربية في جميع جوانبها بشكل كبير.

Abstract

The Military Role of the Eastern Arabs against the Crusaders in the Levant During The Reign of Zenkid and Ayyubid Dynasty (521-648 A.H/1127-1250 AD)

By Mody Abdullah Al-Sarhan

Arab tribes settled in the Levant since a long time, probably in the third century BC, so they were not fara bout the important political and military events that had passed on the region in various historical eras.This paper will attempt to highlight on the military role of the Arabs against the crusaders in the Levant during the reign of Zenkid and Ayyubid dynasty (521-648 A.H/1127-1250 AD) which take responsibility for Jihad against the crusaders during the 6^{th}– 7^{th} A.H/ 12^{TH}– 13^{TH}A.D Centuries, this role is not limited to exceptional participation to spying or make an ambush to the enemy army or guide the Islamic armies to desert paths, but they had formal military role during the period of resistance against the crusader entity in the Islamic east. The motivation of these tribes was not pragmatic goal only, as some researchers have seen, but there were other goals imposed on them the Arab and Islamic personality, and which prompt them to resist this crusaders entity. The research paper begins display for the most important tribes in the Levant during that period, and then talked about the important battles in which Arabs participated in evident role, and its impact on the battles results, and within his presentation of the is a reading of the image of the Arabian soldiersin contemporary sources and in the eyes of the Zenkidand Ayyubid leaders.

الهوامش

(١) من أوائل الهجرات القادمة من جنوب جزيرة العرب إلى بلاد الشام القبائل الكنعانية التي استقرت في تلك المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وظلت الهجرات متواصلة من جنوب الجزيرة العربية مع تفاوت المدد الزمنية بينها. انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ الجزيرة العربية القديم**، (بيروت: دار العلم للملاين: ١٩٧٦م)، ج١، ص٢٢٢، ٥٧٣.

(٢) محمد بن حوقل البغدادي، **صورة الأرض**، (بيروت: دار صادر أوفست لايدن، ١٩٣٨م)، ج١، ص٢٢، ١٨٦.

(٣)الحسن بن أحمد الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، (ليدن: مطبعة بيريل، ١٨٨٤م)، ص١٢٩.

(٤)عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل ذكار، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج١، ص٥٤٣، ٥٦٠–٦٥١.

(٥)حمزة بن أسد ابن القلانسي، **تاريخ دمشق لابن القلانسي**، تحقيق: سهيل ذكار، (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر لصاحبها عبدالهادي حرصوني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)،ص ٥، ٣٦٦، ٤٩٠.

(٦)أمين التّفوري، "أجناد القبائل العربية في بلاد الشام في العهد المملوكي"،**مجلة دراسات تاريخية-دمشق**، ع٥، يوليو ١٩٨١م، ص١٠٠.

(٧)مصطفى الحياري، **الإمارة الطائية في بلاد الشام**، (عمّان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٧م)، ص٣٥.

(٨)محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الروذراوري، **ذيل كتاب تجارب الأمم**، اعتنى بالنسخ والتصحيح: ه. ف. آمدروز، (طهران: شروس، ٢٠٠٠م)، ٢٨١–٢٨٢.

(٩)أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (المجمع الثقافي: أبو ظبي، ١٤٢٣هـ)، ج٤، ص٣١٣.

(١٠)يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، (حيدر أباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ)، ج٨، ص٣٠٦. قارن أيضاً: علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير الجزري، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، ص٤٦-٤٧.

(١١)الحياري، **الإمارة الطائية**،ص٥٧.

(١٢)عماد الدين محمد بن محمد الأصبهاني، **البرق الشامي**، تحقيق: د. فالح حسين، (عَمَّان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ١٩٨٧م)، ج٥، ٧٦؛ انظر أيضاً: هاملتون جب، **دراسات في حضارة الإسلام: جيوش صلاح الدين**، ترجمة: إحسان عباس وآخرين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص١١٨، حاشية (٧٢). يُرجَّح أن سلطة والي دمشق==الرسمية على قبائل العرب في بلاد الشام قد امتدت كذلك خلال حكم آل طغتكين لدمشق، ويبدو أن عماد الدين زنكي كان على علم بذلك، فيذكر ابن الأثير،في سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م، أن عماد الدين زنكي كان قد طلب من تاج الملوك بوري بن طغتكين حاكم دمشق (٥٢٢-٥٢٦هـ/١١٢٨-١١٣٢م)تسليم أحد أمراء العرب المتمردين، وقد تم ذلك بمساعدة قوم من قبيلة بني كلب. انظر: ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص٤٦.

(١٣)العمري، **مسالك الأبصار**، ٣١٤/٤؛ الحياري، **الإمارة الطائية**، ص٦٣؛ علي بن صالح الحميد، "دور إمارة آل فضل السياسي في بلاد الشام إبّان العصر المملوكي (٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م)"، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**، مج١٦، ع٢٩، ٢٠١٤م، ص٤٥٥. وحَدِيثة هو حَدِيثة بن عصيّة أو (غضيّة) أو (غضبة)بن فضل بن ربيعة الطائي الشامي التدمري. انظر: العمري، **مسالك الأبصار**، ٤: ٣١١؛، أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**.(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، ٢٠٣/٤.

(١٤)الحياري، **الإمارة الطائية**، ص٦٣.

(١٥)حدث هذا في زمن السلطان الكامل الأيوبي (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) فيذكر العمري بعد أن قام العادل باستحداث الإمرة الرسمية للعرب: "ثم إن ابنه الكامل قسم الإمرة نصفين نصفاً لمانع بن حديثة، ونصفا لغنّام أبي طاهر بن غنّام". انظر: العمري، **مسالك الأبصار**، ٣١٤/٤؛ الحياري، **الإمارة الطائية**، ص٦٦.

(١٦) انظر:سعيد عبد الفتاح عاشور، "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"،**المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، الكويت، شتاء ١٩٩٠م، مج ١٠، ع ٣٧، ص ١٨-٢٣؛ جابر سلامة المصري، "الجيش والنظام الحربي في دولة أتابكة الموصل على عهد عماد الدين زنكي"، **مجلة كلية التربية**، الإسكندرية، ع٣، أكتوبر ١٩٩٠م، ص٤٤٦-٤٤٧؛الحياري، **الإمارة الطائية**،ص٥٦؛ فتحي أحمد محمد حماد،**العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/١١٢٨-١٢٥٠م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، (١٤٣٢-٢٠١١م)، ص٦١.

(١٧)إحدى الطوائف العربية التي كانت متواجدة في بلاد الشام خلال فترة الدراسة، وقد ذكر ابن فضل الله العُمري أنه قد وفدت منهم طائفة على المعز أيبك في مصر. انظر: العمري، **مسالك الأبصار**، ٣٠٢/٤-٣٠٣؛عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. انظر:ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ج٤، ص١٢٢.

(١٨)ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٢٩١.

(١٩) تأسست الدولة الزنكية على يد عماد الدين زنكي أتابك الموصل في سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، وتوسعت دولته حتى شملت الموصل والجزيرة وبلاد الشام. انظر: محمد بن سالم بن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٣م)، ج١، ص٤٠، وللمزيد راجع: ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص٣٢ وما بعدها.

(٢٠) أسس صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية في مصر في سنة ٥٦٧هـ/ ١١٦٩م، وتوسعت دولته إلى أن شملت بلاد الشام والحجاز واليمن وأجزاء من الجزيرة الفراتية، للمزيد راجع: عبد المنعم ماجد، **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية: التاريخ السياسي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٣٥٠م)**، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٧.

(٢١)عرّف ابن فضل الله العمري آل ربيعة بقوله: "هم ملوك البر، وأمراء الشام والعراق والحجاز، فهم آل فضل، وآل مرا، وآل عليّ من آل فضل... والأصح في نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن علي .... بن طيئ". انظر: العمري، **مسالك الأبصار**،ج٤، ٣٠٦-٣٠٩.

(٢٢)البَلقاء: كورة قاعدتها عمّان تابعة لدمشق، وتقع بين الشام ووادي القرى. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٨٩.

(٢٣)حَوْران: إحدى منازل عرب الشام، وهي كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣١٧.

(٢٤) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحاتة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٥، ص٢٢٧، ج٦، ص٨-٩.

(٢٥)الحياري، **الإمارة الطائية**، ص٥٦.

(٢٦)طَبَريّة: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، وبينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وبين بيت المقدس ثلاثة أيام كذلك، وبين عكا يومان. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ١٧/٤.

(٢٧)ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٢٩٦.

(٢٨)ابن العديم، **بغية الطلب**، ٥٩/١، ٥٦٠ فما بعدها،٣٨٥٢/٨.

(٢٩)بانياس: قرية أو بلدة تقع أسفل الجبل غربي دمشق. انظر: عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١٥٨.

(٣٠)ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٣٥٩.

(٣١)معين الدين أنر بن عبد الله أتابك دمشق وحاكمها الفعلي نيابة عن صاحبها مجير الدين أبَق بن بوري بن طغتكين، توفي في سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م. انظر: علي بن أبي الكرم ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٩، ص١٥٨؛ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٢٨.

(٣٢)حَوْرَانُ: كورة واسعة من أعمال دمشق، ذات قرى ومزارع، وهي من منازل العرب. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٣١٧/٢.

(٣٣)ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٤٧٢-٤٧٣.

(٣٤)ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٤٧٣.

(٣٥)السابق، ٤٨٧-٤٨٨.

(٣٦)السابق، ٤٨٨ فما بعدها؛ النفوري، **أجناد القبائل العربية**، ص١٠٢؛ هُونين: بلد في جبال عاملة مطل على نواحي مصر. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٤٢٠/٥.

(٣٧) أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين**، ج٢، ص٢٤٠.

(٣٨)وليم الصوري، **الحروب الصليبية**، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥)،ج٤، ص٢٢٢.

(٣٩)الصوري، **الحروب الصليبية**، ٢١٩/٤. انظر تفاصيل أكثر عن العناصر المشتركة في هذه المعركة

عند: نظير حسان سعداوي، **جيش مصر في أيام صلاح الدين**، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٦م)، ص١٣.والقراغلامية هم جماعة الضبطية، وعملهم مراقبة الطرق في أثناء سير الجيوش. انظر: أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٩م)، ج١، ق١، ص٧٥.

(٤٠)الصوري، **الحروب الصليبية**، ٤، ٢٢٧-٢٢٨.

(٤١)فرُخشاه: صاحب بعلبك، وهو ابن شاهان شاه بن أيوب، وأخو تقي الدين عمر صاحب حماة. انظر: أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، ج٧، ص١٦٧.

(٤٢)بَيْسَان: مدينة بالأردن تقع بين حوران وفلسطين. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٥٢٧/١.

(٤٣)الغَوْر: يقصد به الجزء المنخفض من الأرض، والمقصود هنا غَوْر الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، طوله مسيرة ثلاثة أيام، وعرضه مسيرة يوم، وفيه نهر الأردن وعدد من القرى والبلاد. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢١٧/٤.

(٤٤)ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٦٠-٤٦١؛ محمود السيد، **تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية**،(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٨م)، ص٥٧.

(٤٥)محمد بن محمد عماد الدين الكاتب الأصبهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، (القاهرة: دار المنار، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٢٣-١٢٤.

(٤٦) ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨/١٠

(٤٧)بهاء الدين ابن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)**، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص١٦٠ .

(٤٨)خالد بن سليمان الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام (٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠هـ)، **الدارة**، ع٣، رجب ١٤٣٢هـ، ص١٦٩

(٤٩)سعداوي، **جيش مصر**، ١٢-١٣.

(٥٠) محسن محمد حُسين، جيش صلاح الدين، العراق، **مجلة المورد**، مج ١٦، ع٤، ١٩٨٧م/ ١٤٠٨ه، ص٣٩.

(٥١)ابن الأثير، **الكامل**، ٧٢/١٠؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢: ٢٩٤.

(٥٢)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص٢٠٥؛ راجع أيضا: ابن الأثير، **الكامل**، ٧٥/١٠؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢: ٣٢٨.

(٥٣)أرسوف: مدينة على ساحل بلاد الشام بين قيسارية ويافا. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ١٥١/١.

(٥٤)يافا: مدينة على ساحل بلاد الشام من أعمال فلسطين، تقع بين قيسارية وعكا. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٤٢٦/٥.

(٥٥)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص٢٧٩؛ الأصبهاني، **الفتح القسي**، ٢٨٥.

(٥٦)اليَزَك: طليعة الجيش، وهم يقفون مانعاً بين الطريق وبين العدو لمنع من يخرج من عسكرهم أو يدخل. انظر: رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠م)، ج١١، ص١١٨.

(٥٧)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص٢٨٥.

(٥٨)السابق، ص١٦٩؛ قارن أيضاً: أبو شامة، **الروضتين**، ٤/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٥٩)يبدو أن هذه التسمية كانت مرتبطة بالبدو من الأعراب الغير منتظمين في الجيش الأيوبي بصفة رسمية.

(٦٠)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٢٨٨-٢٨٩.
(٦١)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٢٩٨- ٢٩٩.
(٦٢)السابق، ٢٩٩.
(٦٣)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٣١٧.
(٦٤)الِحلَّة في اللغة تعني القوم النزول على موضع وفيهم كثرة، وهي علم لعدة مواضع. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٢٩٤.
(٦٥)الدَّارون قلعة تقع بعد غزة للقاصد إلى مصر، وبينها وبين ساحل البحر المتوسط مقدار فرسخ. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٤٢٤.
(٦٦)ابن شداد،**النوادر السلطانية**،١/٣٠٧.
(٦٧)السابق، ١٠/ ٣٢٥.
(٦٨)ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٣/٢٦٥.
(٦٩)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٣١٥.
(٧٠)الصافية: حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٤٢.
(٧١) الخويلفة: موضع بنواحي فلسطين. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٤٠٨.
(٧٢) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص٣١٨.
(٧٣)سعداوي،**جيش مصر**، ص٨-٩.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ------، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).
- ابن حوقل، محمد البغدادي، **صورة الأرض**، (بيروت: دار صادر أوفست لايدن، ١٩٣٨م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحاتة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).
- الروذراوري، محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الروذراوري، **ذيل كتاب تجارب الأمم**، اعتنى بالنسخ والتصحيح: ه. ف. آمدروز، (طهران: شروس، ٢٠٠٠م).
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، (حيدر أباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ).
- أبي شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- ابن شداد، بهاء الدين، يوسف بن رافع، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)**، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد، **البرق الشامي**، تحقيق: د. فالح حسين، (عَمَّان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٨٧م).

- -----، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، (القاهرة: دار المنار، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الصوري، وليم، **الحروب الصليبية**، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥).
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل ذكار، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- ابن فضل الله، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (المجمع الثقافي: أبو ظبي، ١٤٢٣هـ).
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد، **تاريخ دمشق لابن القلانسي**، تحقيق: سهيل ذكار، (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر لصاحبها عبد الهادي حرصوني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- القلقشندي،أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**.(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م).
- المقريزي، أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٩م)
- الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، (ليدن: مطبعة بيريل، ١٨٨٤م).
- ابن واصل، محمد بن سالم، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٣م).

ثانياً: المراجع

- جب، هاملتون، **دراسات في حضارة الإسلام: جيوش صلاح الدين**، ترجمة: إحسان عباس وآخرين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).
- حسين، محسن محمد، جيش صلاح الدين، العراق، **مجلة المورد**، مج ١٦، ع٤، ١٩٨٧م/ ١٤٠٨ه.
- حمّاد، فتحي أحمد محمد، **العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/١١٢٨-١٢٥٠م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، (١٤٣٢-٢٠١١م).
- الحميد، علي بن صالح، "دور إمارة آل فضل السياسي في بلاد الشام إبّان العصر المملوكي (٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م)"، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**، مج١٦، ع٢٩، ٢٠١٤م.
- الحياري، مصطفى، **الإمارة الطائية في بلاد الشام**، (عمّان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٧م).
- دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠م).
- سعداوي، نظير حسان، **جيش مصر في أيام صلاح الدين**، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٦م).
- السيد، محمود، **تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٨م).
- الشريدة، خالد بن سليمان، التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام (٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠هـ)، **الدارة**، ع٣، رجب ١٤٣٢هـ.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، الكويت، شتاء ١٩٩٠م، مج ١٠.
- ماجد، عبد المنعم، **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية: التاريخ السياسي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٣٥٠م)**، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م).
- المصري، جابر سلامة، "الجيش والنظام الحربي في دولة أتابكة الموصل على عهد عماد الدين زنكي" ، **مجلة كلية التربية**، الإسكندرية، ع٣، أكتوبر ١٩٩٠م.
- النّفوري، أمين، "أجناد القبائل العربية في بلاد الشام في العهد المملوكي"، **مجلة دراسات تاريخية-دمشق**، ع٥، يوليو ١٩٨١م.